

المؤرخ عز الدين بن الاثير(ت630هـ/1232) في الدراسات الاستشراقية
السيد دي. اس. ريتشاردز نموذجاً

**The Historian İzz al- Dīn Ibn al- Athīr (Died in 630 A.H.
/1232 A.D.) in Oriental Studies: Mr D. S. Richards as a
Model**

أ.م.د.ميسون ذنون عبد الرزاق

العراق/الموصل

جامعة الموصل/مركز دراسات الموصل

قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية

التخصص: تاريخ اسلامي

**Asst. Prof. Dr. Maysoon Thanoon Abdulrazaq
Iraq / Mosul
University of Mosul / Mosul Studies Center
Dept : Historical and Social Studies
Specialization: Islamic history**

الملخص

من بين المستشرقين الذين اهتموا بالمؤرخ عز الدين بن الاثير المستشرق البريطاني دونالد ساندي ريتشاردز الذي كتب عن هذا المؤرخ بحث غاية في الاهمية ، ثم قام بترجمة النصوص الخاص بالسلاجقة الى اللغة الانكليزية من خلال كتاب **الكامل في التاريخ**، وكان من اهم اعماله بهذا الخصوص ايضا هو ترجمة للاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل الى اللغة الانكليزية ، تخصص السيد ريتشاردز في الدراسات الاسلامية وبالاخص الفترتين المملوكية والايوبية، ويمكن القول ان جامعة اوكسفورد في الفترة التي القى فيها دونالد محاضراته كانت بحاجة الى كوادر متخصصة في الدراسات التاريخية الاسلامية وممن يجيدون اللغة العربية، لاسيما وان المستشرق البريطاني هاملتون جب كان قد ذهب الى امريكا سنة 1955 بدعوة من جامعة هارفارد ليكون هناك استاذا للغة العربية، واستاذا جامعيًا، وبعدها بقليل مديرا لمركز دراسات الشرق الاوسط، ولا بد ان ذلك كان له الاثر على ريتشاردز، حيث ان تأثير الدراسات الشرقية الخاصة باكسفورد كانت واضحة على ريتشاردز وهذا ما سنلاحظه من خلال البحوث التي انجزها في هذه الفترة وبخاصة بعد انتقاله الى جامعة هارفارد، فقد عكف على دراسة سيرة صلاح الدين، واهتم شتين بدراسة وثائق شبه جزيرة سيناء. من هنا جاءت اهمية هذا البحث في تسليط الضوء على السيد ريتشاردز ، ودراسة اعماله الخاصة بالمؤرخ ابن الاثير، وبيان وجهة نظره بهذا المؤرخ.

الكلمات المفتاحية:

ابن الاثير، دي. اسريتشاردز، الحروب الصليبية، الكامل في التاريخ.

Abstract

Among the oriental writers who were interested in Izz Al-Dīn Ibn al- Athīr was the British historian D. S. Richards who wrote a very important research paper about him. In this paper,

Richards analyzed the last parts of Al-Kâmil fil-Ta'rīkh , in addition to translating the narrations on Saljuqs which were related in his book. One of the huge works of this oriental writer is translating the last part of the book. All this disclosed the importance of shedding light on the life of Mr. Richards and demonstrating his efforts in writing about Ibn al -Athir And to indicate his point of view with this historian.

Key words:

Ibn al- Athīr, D. S. Richards, Crusades, Al-Kâmil fil-Ta'rīkh.

المدخل

حظي المؤرخ ابن الاثير باهتمام المؤرخين العرب والاجانب على حد سواء، وبخاصة من خلال تاليفه كتاب الكامل في التاريخ الذي ارخ فيه منذ الخليقة وحتى سنة 628هـ/1230م وهو عصر المؤلف نفسه، وجاء اهتمام المستشرقين بهذا المؤرخ من كون ابن الاثير قد ارخ لفترة مهمة من التاريخ الاسلامي وهي فترة الحروب الصليبية والمتمثلة الصراع الاسلامي الفرنجي او الصليبي على بلاد الشام والتي بدأت منذ سنة (491هـ/1096م) واستمرت حتى عام (690هـ/1291م) ، وابن الاثير في كتابه الكامل قد ارخ لخمس حملات صليبية، وهو أول مؤرخ يجمع هذه الحملات في مصدر واحد، علما انه كان معاصرا للحملات الصليبية الثالثة (585-578هـ/1189-1191م)، والرابعة (599-601هـ/1201-

1204م) ثم الخامسة (615-618هـ/1218-1221م)، واول من قام بترجمة نصوص الكامل في التاريخ والخاصة بالحروب الصليبية، باعتناء الاستاذ دفرمري(1822-1883) (Defremory) في باريس سنة 1872 م ومعه ترجمة باللغة الفرنسية للمستشرق دي سلان.(De slane, 1898 p1) De (Slane) ، بعد ذلك ظهرت الدراسات الخاصة بهذا المؤرخ من قبل المستشرق البريطاني هاملتون جب، والمستشرق الايطالي غابرييلي، واخيرا المستشرق البريطاني دي.اس.ريتشاردز (D.S.Richards)، حيث انصب اهتمامه على دراسة المؤرخ ابن الاثير سواء في اجثائه او من خلال ترجمة الاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل، والنصوص المتعلقة بالسلاجقة من خلال هذا الكتاب ايضا، ولم تسلط الابحاث السابقة الضوء عن هذا المستشرق ودراساته المتعلقة بالمؤرخ ابن الاثير، من هنا جاءت اهمية هذا الموضوع في دراسة حياة هذا المستشرق، ثم جهوده في مجال كتابته عن المؤرخ ابن الاثير.

ولابد الاشارة هنا الى ان السيد ريتشاردز ما زال على قيد الحياة وقد بلغ من العمر الثامنة والسبعون، وقد ارسلت اليه عدة اميلات منذ عدة سنوات ولحد الان حيث رد على احداها بعدم مقدرته على مساعدتي في هذا البحث لظروفه الصحية، لذلك اضطررنا للبحث عن سيرته العلمية من خلال مراسلة عدة جامعات بريطانية كان يعمل بها السيد ريتشاردز، وحتى بعضها لم يزودن بمعلومات عنه مادام هو قد رفض ذلك مسبقا. لذلك جاءت سيرته العلمية مختصرة جدا ومعظمها مستقاة من خلال بعض مؤلفاته، او بعض مؤلفات تلامذته.

هو ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، والملقب بعز الدين. ولد في جزيرة ابن عمر في (الرابع من شهر جمادى الاولى سنة 555هـ/الثالث عشر من حزيران سنة 1160م)، في الجزيرة العمرية، وبالتحديد في باعيناثا، وهي قرية كبيرة كالمدينة، فوق جزيرة ابن عمر، لها نهر كبير يصب في دجلة، وفيها بساتين كثيرة من أنزه المواضع تشبه بدمشق. نشأ ابن الأثير في اسرة اشتهرت بالعلم والثقافة، اذ كان اخاه الملقب بـ مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت606هـ/1208م) كان عالماً فاضلاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث. وفضلاً عن اشتغال مجد الدين بتحصيل العلم، فانه عمل موظفاً في الإدارة الاتابكية في الموصل وأعمالها، وله مؤلفات عدة منها: جامع الاصول من احاديث الرسول (ابن الديني، 1977، ج3، ص 139).

أما الأخ الأصغر لعز الدين فهو ابو الفتح نصر الله الملقب بضياء الدين والمعروف بابن الأثير الجزري، صاحب كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر اشتهر بكتابة الإنشاء، واصبح وزيراً للملك الأفضل بن صلاح الدين بعد وفاة الأخير (589هـ/1193م) (ابن خلكان، 1977، مج5، ص 389). وبخصوص ثقافة عز الدين بن الأثير العلمية فإنها لا تقل أهمية عن ثقافة ومكانة أخويه، اذ تلقى تعليمه منذ صغره في الجزيرة العمرية، وسافر الى بغداد، وحلب، ودمشق، والقدس أيضاً، وكان له العديد من التلاميذ من أبرزهم ابن العديم، وغيره. وقد ترك بعد وفاته العديد من المؤلفات منها أسد الغابة في

معرفة الصحابة، و اللباب في تهذيب الأنساب، و التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية وهو تاريخ محلي خاص بحكام الدولة الاتابكية بالموصل . وأهم مؤلفاته التاريخية وأكثرها شهرة هو كتابه الكامل في التاريخ وهو من التواريخ العامة الحولية، دون فيه الاخبار منذ بدء الخليفة الى نهاية سنة (628هـ/1228م) أي قبل وفاته بسنتين(اليوني ، 1954 ،مج1،ص64).

ثانياً: المستشرق دي .اس. ريتشاردز:

لا بد من الاشارة هنا الى ان المستشرق ريتشاردز سبق وان ارسلت له الباحث عدة رسائل في سبيل تزويدها بمعلومات عنه لكن مع الاسف قوبل الطلب بالرفض لذلك اعتمدت في سيرته العلمية (Texts) على مقدمة لكتاب خصصت بحوثه له عرفانا له بمكانته العلمية جاء تحت عنوان:

Documents and Artefacts Islamic Studies in Honour of D.S.richards)

فهو دونالد سدي ريتشاردز(Donald Sandy Richards) ولد في مدينة برستل (Bristol)البريطانية سنة 1935، وللأسف لم تتوفر لنا معلومات اولية عن(حياته قبل دراسته البكالوريوس، اذ ارسلت له عدة رسائل ، ورفض من خلالها التعاون معي، ماعدا ذلك فان هذه المعلومات مستقاة من كتاب خصصت بحوثه ل ريتشاردز من قبل اصدقائه وطلابه،(Robinson,2003, P.vii).

درس البكالوريوس في جامعة اوكسفورد في كلية ميرتن(Oxford Merton College), (Robinson,2003, P.vii). سنة 1953 حيث درس المدونات الانسانية، قبل الانتقال الى دراسة اللغتين

العربية والفارسية لنيل درجة البكالوريوس والتي حصل عليها فعلا سنة 1957. وقد امضى سنتين في الخدمة العسكرية في صنف البحرية تعلم من خلالها اللغة الروسية وهي اضافة الى اللغات المطلع عليها سابقا وهي الاغريقية واللاتينية والعربية والفارسية

(Robinson,2003,P.vii)، وعاد سنة 1959 الى اوكسفورد، وبدعوة من البرفسور أ.اف.ال.بيستن (A.F.L.Beeston)، والبرت حوراني (Albert Hourani) وبالفعل قدم طلباً، وتم تعيينه سنة 1960 . كلية الدراسات الشرقية،(P.vii Robinson,2003)(Faculty of Oriental Studies). بجامعة اوكسفورد لاقاء محاضرات في اللغة العربية،(P.vii Robinson,2003)، وفي اثناء هذه الفترة بدأ بالعمل لنيل شهادة دكتوراه فلسفة، ولكنه تخلى عنها (P.vii Robinson,2003). وفي سنة 1967 تم انتخابه ليكون عضواً رسمياً في كلية سانت كروس (St Cross College)،(P.vii Robinson,2003)، وخدم فيها بصفة استاذ مساعد من سنة (1991-1995م) (Robinson,2003,p.viii) وفي ذلك الوقت كان قد اكمل عدة اجازات للتفرغ العلمي احداها في سنة 1983 عندما كان زميلاً اقدم في المدرسة البريطانية للآثار في القدس (British School of Archaeology in Jerusale)، (Robinson,2003,p.viii) . تزوج السيد ريتشاردز من السيدة باميليا (Pammela) والتي شاركته حماسة المنقطة النظر في اللغة العربية والشرق الاوسط والتاريخ المحلي، بل رزق منها بولد اسمه مارتن (Martin)، وبنت اسمها لوسي (Lucy) (Robinson,2003,p.viii)

في سنة 2000 تقاعد السيد ريتشاردز من الكلية ذاتها ومن المنصب الذي شغله وتعين فيه قبل حوالي اربعين سنة من التعليم والتدريس في كلية الدراسات الشرقية،(P.vii Robinson,2003)، وما زال الان يشغل منصب زميلاً فخرياً في كلية سانت كروس (St.Crooss College) ب جامعة اوكسفورد،(P.vii ,Robinson,2003).

ويمكن القول ان السنوات الاولى ل ريتشاردز في جامعة اوكسفورد كان فيها العديد من المستشرقين الكبار ممن تخصص بالدراسات الاسلامية ، مثل هاملتون الكسندر روسكين جب (P.vii Robinson,2003)(H.A.R.Gibb) . وصماوئيل شتيرن(Samuel Stern) وريتشارد والزر (Richard Walzar) .

تخصص ريتشاردز في الدراسات الاسلامية وبالاخص الفترتين المملوكية والايوبية، ويمكن القول ان جامعة اوكسفورد في الفترة التي القى فيها دونالد محاضراته كانت بحاجة الى كوادر متخصصة في الدراسات التاريخية الاسلامية وممن يجيدون اللغة العربية، لاسيما وان هاملتون جب كان قد ذهب الى امريكا سنة 1955 بدعوة من جامعة هارفارد ليكون هناك استاذاً للغة العربية، واستاذاً جامعياً، وبعدها بقليل مديراً لمركز دراسات الشرق الاوسط(حوراني، 1983،ص374) ، ولا بد ان ذلك كان له الاثر على ريتشاردز، حيث ان تأثير الدراسات الشرقية الخاصة باكسفورد كانت واضحة على ريتشاردز وهذا ما سنلاحظه من خلال البحوث التي انجزها في هذه الفترة وبخاصة بعد انتقال كب الى جامعة هارفارد، فقد عكف كب على دراسة سيرة صلاح الدين، واهتم شتيرن بدراسة وثائق شبه جزيرة سيناء،(P.vii Robinson,2003). وقد كرس ريتشاردز جهده ، وبساعات طويلة من اجل فك رموز ومناقشات واسعة النطاق لفك رموز عدد كبير من الوثائق وبصورة خاصة وثائق القدس والفسطاط والقاهرة وسيناء،(P.vii Robinson,2003) التي القت الضوء على التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي للشرق الادنى ما قبل التاريخ الحديث والاختصاص الثاني للخبرة يتمثل في كتابة تاريخ العصرين المملوكي والايوبي، حيث ظهر ذلك في ثمانينات القرن العشرين، وقد جاءت نتيجة اتقانه اللغة العربية ان قام بنشر

عدة مصادر في التاريخ الاسلامي سواء نشر مخطوطات او بعض بعض النصوص التاريخية الى الانكليزية، فبالنسبة الى المصادر التاريخية التي حققها ريتشاردز هو كتاب " زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة " للأمير ركن الدين بيبرس المنصوري المعروف ب الدوادار(ت 725هـ/1325) والذي يشمل السنوات (650-709هـ) صدر سنة 1998. (Richards(ed,1998)، وترجم بعض النصوص الخاصة بالحروب الصليبية من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد(ت634هـ/1236م) الخاص بسيرة السلطان صلاح الدين الايوبي. (Richards(trans),2001)، وترجم النصوص الخاصة بالسلاجقة من خلال كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت630هـ/1232م). (Richards(trans),2001)، واهم عمل ضخم قام بترجمته هو الاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل في التاريخ والخاصة بتاريخ الحروب الصليبية واصدره في ثلاثة اجزاء حيث تضمن الجزء الاول السنوات (491-541هـ/1097-1146م) وشمل احداث هذا الجزء مجئ الصليبيين الى بلاد الشام ومقاومة المسلمين لهم (Richards, 2006, P.1)، واما الجزء الثاني فتضمن احداث السنوات (541-589هـ/1146-1193م) وهي فترة نور الدين زنكي صلاح الدين الايوبي (Richards (trans) 2007) اما الجزء الثالث فتضمن السنوات (589-629هـ/1193-1231م) وهي فترة الايوبيين بعد وفاة صلاح الدين الايوبي ومجئ المغول (Richards, 2008).

ثالثاً: ريتشاردز وعلاقته بالمؤرخ ابن الاثير:

احتل كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير موقعا كبيرا لدى المستشرقين الغربيين لاسيما وان كتابه هذا يتضمن فترة مهمة من التاريخ الاسلامي الا وهي الحروب الصليبية والمقاومة الاسلامية لها وبالاخص في بلاد الشام، حيث ارخ ابن الاثير لخمس حملات صليبية كان في الحملات الثالثة والرابعة والخامسة

معاصرا لها، ومن دون شك عكس وجهة النظر الاسلامية تجاه تلك الحروب، وعلى ما يبدو ان اوكسفورد كانت من الجامعات بما تحتويه من كليات قد اقتصت بالتاريخ الاسلامي، وفترة الحروب الصليبية وبالذات فترة صلاح الدين الايوبي، وكما سبق ذكره ان المستشرق هاملتون كب كان قد اقتص بهذه الدراسات(الملا حاسم، 2017، ص312).، فقد توصل كب من خلال دراسة نصية دقيقة بان ابن الاثير قد لجأ الى تحويرات ذكية في نقله عن ابن القلانسي ، من خلال حذف بعض عناصر الرواية الاصلية واستخدم البقية لتقديم تفسير خاطئ، وحذف بعض تواريخ الاحداث وتغيير جملة او عبارة لاعطاء معنى مغايراً، لغرض خدمة اغراض ابن الاثير نفسه(الملا حاسم، 2017، ص312). وبذلك اعتبر كتاب الكامل مصدرا غير اساسيا في الفترات الاولى من تاريخ هذه الحروب، والاجدر الرجوع الى كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند دراسة الفترات الاولى من تاريخ الحروب الصليبية وهي فترة ابن القلانسي التي عالجها في كتابه "ذيل تاريخ دمشق" والرجوع الى مؤلفات العماد الاصفهاني وابن شداد عند تناول الباحث دراسة حياة صلاح الدين الايوبي(الملا حاسم، 2017، ص312)..

فجاء ريتشاردز بعدما عين في معهد الدراسات الشرقية لالقاء محاضرات في اللغة العربية بعد انتقال كب الى جامعة هارفارد الامريكية سنة 1955، وحاول ان يقدم صورة مغايرة للمستشرق كب في تعامله مع المؤرخ ابن الاثير فقدم بحثه في سنة 1983 بعنوان "Ibn "Al-Athir and the Later Part of the Kamil: A Study of Aims and Methods" ابن الاثير والأجزاء الأخيرة من الكامل دراسة في الاهداف والمناهج"؟). (Richards, 1982) حاول من خلال هذا البحث دراسة الأجزاء الأخيرة من كتاب الكامل" والتي كان ابن الاثير معاصرا فيها لأحداث الكتاب،

علما ان هذا البحث وبعض الدراسات الخاصة بصلاح الدين وبخاصة علاقته برجال السياسة لم تنشر الا بعد وفاة هاملتون كب، واعتمد في هذه الدراسة على مخطوط الكامل في التاريخ المحفوظة في مكتبة البودليان والتي لم يستخدمها المستشرق السويدي تورنبرغ في نشره لكتاب الكامل طبعة ليدن، تركزت الدراسة على دراسة السيرة الذاتية والعلمية لابن الاثير مستقاة من كتاباته الشخصية من خلال كتابيه "التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية" و"الكامل" (Richards, 1982,p.76)، من حيث ولادته، نشأته، شيوخه، أسرته، علاقتهم بالسلطة الزنكية، ومن ثم رحلاته العلمية الى بلاد الشام وبالاخص الى حلب ودمشق، وعلاقته برجال السياسة مثل شهاب الدين طغريل اتابك حلب (Richards, 1982,p.77)، ثم واخيرا بدر الدين لؤلؤ الذي حكم الموصل بعد انتهاء الدولة الاتابكية (1232/هـ/631م) ، وبالتالي ينتقل بالحديث عن ابن الاثير ومعاصرتة للاحداث التي مرت بها مدينة الموصل كالحصار الاول لها من قبل صلاح الدين الايوبي سنة (581هـ/1185م)وانتهز ابن الاثير هذه الفرصة وشهد تحرير حصن برزية واستعادته من الصليبيين في سنة (584هـ/1188م) وفي السنة نفسها ايضا زار طبرية وراى بنفسه الموضوع الذي حصل فيه قتال بين الجانبين الاسلامي والصليبي، ومن ضمن الحوادث التي ذكرها ريتشاردز نقلا عن ابن الاثير المجاعات التي تعرضت لها سنة(622هـ/1225م)، حيث كان متواجدا في الموصل، مبرهنا في ذلك في ان عائلة ابن الاثير كانت ميسورة بحيث تاكل اللحم في ايام المجاعة، وكان ابن الاثير بحلب سنة(626هـ/1226م) والتقى خلالها بالمؤرخ ابن خلكان (ت681هـ/1282م)، ونزل ضيفا عند شهاب الدين طغريل، وعاد ابن الاثير الى الموصل بعد مكوثه في دمشق طيلة سنة (627هـ/1227م) ثم رجع الى حلب وبقي فيها مدة قصيرة، وبعدها رجع الى الموصل وتوفي بها في شعبان سنة (630هـ/1233م).وخصص ريتشاردز فقرة عن ثقافة ابن الاثير العلمية مستقاة من

شهادة ابن الاثير الشخصية بخصوص شيوخه الذين درس عليهم، وهذه المعلومات حسب رايه معلومات مختصرة جدا، مع عدم ذكر ابن الاثير لاثر اخوته على تعليمه.(Richards, 1982,p.77)، وكيف بدأ اهتمامه بالتاريخ، لكنه ذكر في مقدمة الكامل انه كان مولعا بقراءة كتب التاريخ، وكانت انجازاته هو كتاب الكامل في التاريخ، ووصفه ريتشاردز بانه تاريخ عظيم، منذ بدء الخليقة الى عام 628هـ، واعتبر كتاب "الباهر في الدولة الاتابكية" هو عمل اقل شأناً من حكم الزنكيين.(Richards, 1982,p.78).

ان اهتمامات ريتشاردز في هذا البحث انصبت على الاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل، وكما

قال " بعبارة اشمل ، تاريخ حياة ابن الاثير نفسه".(Richards, 1982, pp.78-79).

ناقش ريتشاردز وباسهاب ظروف تأليف الكامل ، من ان ابن الاثير قد بدأ بكتابة الكامل في قرية تعرف باسم "قصر حرب" حيث بقايا اثار قصر "حرب بن عبد الله" احد قادة الخليفة المنصور، والتي مازالت باقية.(Richards, 1982,p.78) ، واعتبرها ريتشاردز المكان المناسب للمؤرخ والمحاطة بدون شك بمكتبة خاصة وكبيرة، وعد العبارات التقليدية والتعليقات التي وردت فيها مزيجاً من الصعب فصله، وبخاصة تلك العبارات التي وضع فيها ابن الاثير ظروف تأليف الكتاب فبعد الانتهاء من كتاب الكامل تركه ابن الاثير جانبا لوقت طويل لاسباب غير واضحة.(Richards, 1982,p.79)، منها انشغاله، وبالرغم من كون عمله غير منتهي وغير منقح الا انه سمح لبعض اصدقائه بعد الحاحهم بقراءة تاريخه امامهم.(Richards, 1982,p.79) ، وبالتالي تم انجاز العمل نزولا عند رغبة وطاعة بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل انذاك، واعتبر ريتشاردز انه لا يوجد تاريخ محدد من تأليف الكامل، ولا يمكن التوصل إليها كما قال إلا من خلال الدليل الباطني لتواريخه.(Richards, 1982,p.79).

وقد قدم ريتشاردز ادلة عدة حول تاريخ تأليف الكامل، ولا يتم ذلك الا بالرجوع الى كتاب الباهر حيث فيه اشارات الى كتاب الكامل ولكن تحت عنوان اخر وهو المستقصى، توصل الى ان الباهر قد كتب قبل الكامل خلال حكم الفاهر (607-615هـ/1210-1218م)، وبالتحديد قبل سنة (609هـ/1212م)، وقد ذكر اسم الباهر ثلاث مرات في الكامل.(Richards, 1982,p.79).

وقد خلص ريتشاردز الى أن اسم المستقصى لم يرد إطلاقاً في مصدر اخر سوى الباهر، وأشار الى ان السخاوي قد ذكر ان ابن الأثير قد بدأ بتأليف كتاب عن تاريخ الموصل وهذا الكتاب هو المستقصى، ولكن عبد القادر طليمات محقق الباهر برهن على ان كتاب المستقصى هو العنوان الاصيل لـ "الكامل في التاريخ"، وقد اخذ ريتشاردز بهذا الرأي، ولكن بالمقابل اعتقد ان العلاقة بين كتابي الباهر والكامل معقدة جداً، وان كتاب الكامل قد كتب بالمقام الاول بدليل بعض الاحداث التي وردت في الباهر قد اشار اليها ابن الاثير بانها موجودة في الكامل.(Richards, 1982,p.79)، ورجح ريتشاردز الى ان الاشارات الكثيرة في الباهر قد اضيفت كجزء لعمل منقح تالي، وان ابن الاثير اراد تأليف كتاب الباهر حول الزنكيين ونور الدين محمود زنكي لان مادة الكتاب جاهزة لديه.(Richards, 1982,p.79).

واعتقد ريتشاردز ان جميع الاجزاء الاولى من كتاب الكامل بعد قراءة ودراسة واستنقاء طويلة لكن غير محددة ، وافترض اذا كان المستقصى هو الكامل نفسه ، فان ابن الاثير قد جاء بكل تاريخه الى سنة (595هـ/1298م) قبل ان يضعه جانبا، ثم بدأ بكتابة الباهر.(Richards, 1982,p.79).

وقد قدم ريتشاردز ادلة عدة لغرض التوصل الى تاريخ محدد في كتابة الكامل، وبالنهاية توصل الى ان ابن الاثير قد كتب الكامل في نهاية القرن السادس الهجري والذي كان عنوانه السابق المستقصى، وقد

تركه جانبا وكتب الباهر ضمن الفترة (609-615هـ / 1212-1218م) وعاد في سنوات العقد (620هـ/1223م) الى تاريخه الاصلي مخرجا النسخ الاولية ومحضرا رواية الكتاب على مستوى عصري او حديث، وتمثل مخطوط الباريسي تحت الرقم(1499) الكامل في تلك المرحلة، وقد عمل نسخ اضافية الى سنة 620هـ وربما العام 625هـ واطافات عديدة لما كتبه الى سنة 620هـ واستمر في ذلك حتى نهاية 628هـ عندما وصل العمل الى نهايته، دون ان يكون العمل منتهيا. (Richards, 1982,p.79).

رابعاً: ترجمة الاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل:

واهم عمل ضخم قام به ريتشاردز هو ترجمته للاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل في التاريخ والخاصة بتاريخ الحروب الصليبية واصدره في ثلاثة اجزاء حيث تضمن الجزء الاول السنوات (491-541هـ/1097-1146م) وتتضمن احداث هذا الجزء مجئ الصليبيين الى بلاد الشام ومقاومة المسلمين لهم (Richards, 2006, P.1)، واما الجزء الثاني فيتضمن احداث السنوات (541-589هـ/1146-1193م) وهي فترة نور الدين زنكي صلاح الدين الايوبي. (Richards (trans),2007) اما الجزء الثالث فتضمن السنوات (589-629هـ/1193-1231م) وهي فترة الايوبيين بعد وفاة صلاح الدين الايوبي ومجئ المغول (Richards, (trans) 2008).

فاما الطبعة الاولى من الجزء الاول فقد تضمنت مقدمة موضحة فيها اهمية هذا العمل، ومعظم المعلومات التي وردت في مقدمة الجزء هي مستقاة من بحثه حول ابن الاثير والاجزاء الاخيرة من كتاب الكامل في التاريخ، وركز على مصادر ابن الاثير المكتوبة والشفوية (Richards, (trans) (Richards, (trans) (part.1,p.4Introduction),2008)، والتي قلما يذكرها وان ذكرها فهي ام عرضية، او في احدى

تعليقاته4،part.1,p.4(Richards (trans)2008)، مثل ابن عساكر، والعماد

الاصفهانى(ت597هـ/1200م)(Richards, (trans) 2008),part.1,p.4). (Introdu) ولكن الجزء
الاكبر من مادة الكتاب في هذه الفترة استقاها ابن الاثير من مؤرخين هما ابن
القلانسي(ت555هـ/1160م) وابن الجوزي(ت597هـ/1200م) ، حيث ان ابن القلانسي توفي في
السنة التي ولد فيها ابن الاثير (Richards, (trans) 2008,part.1,p.4). (Introdu) فابن القلانسي
غطى الاحداث الخاصة بسوريا والمنطقة الواقعة شمالها، بينما شملت مادة ابن الجوزي الاحداث التي
حصلت في بغداد والعراق وبلاد فارس، و اشار ريتشاردز الى ان مصادر الفترة الاولى من الحروب الصليبية
قد جرى معالجتها من قبل المستشرق كب .

ولفتت انتباه ريتشاردز مسألة غاية في الاهمية وهي مسألة توصل اليها كب بخصوص منهج ابن
الاثير في نقله عن ابن القلانسي اعتبره غير ثقة عندما ينقل عن ابن القلانسي، ولم يؤكد ذلك ريتشاردز،
واعتبرها مسألة تثير الجدل، وان التحريف الذي قام به ابن الاثير هو نتيجة النية الواضحة ام نتيجة
الاختصار والقراءة غير الدقيقة والمشوشة لابن الاثير(Richards, (trans) 2008),part.1,p.4) وقدم
ريتشاردز وجهة نظر مغايرة لما قدمه كب حيث اقتبس نص من المستشرق اف
غابرييلي(Gabrieli.F) بين من خلاله ان ابن الاثير بالرغم من السليبيات الموجودة في نقله عن
المصادر يبقى مؤرخا اصيلا (Richards, (trans) 2008),part.1,p.4) .

ولابد لابن الاثير كانت له مصادر غير مكتوبة استقاها عن طريق الرواية الشفوية او الوثائق نفسها،
بدليل انه يشير في مقدمة الباهر ان معظم مادة هذا الكتاب استقاها عن طريق والده، وكان هناك

استخدام واضح للوثائق، واثار ريتشاردز سؤالاً مهماً هل كان ابن الاثير يتقن اللغة الفارسية بحيث استخدم مصادر تاريخية مكتوبة باللغة الفارسية، واستشهد ريتشاردز برأي المستشرق الفرنسي كلود كاهن (Claude Cahen) عندما ذكر ان ابن الاثير لم يجيد اللغة الفارسية ولكن دون ان يقدم براهين واضحة بخصوص ذلك (Richards, (trans) 2008),part.1,p.4)

وهي حالة يجب ان تضاف الى الحالة السابقة بحاجة الى دراسة، بالاضافة الى ذلك فان الشئ الايجابي في كتاب الكامل هو المقدمة التي شرح من خلالها ابن الاثير حول اهمية التاريخ، وقد اثنى عليها واعتبرها نموذجية عن المؤرخين المسلمين (Franz Rosenthal) المستشرق الالماني فرانز روزنثال والأوربيين الذين كانوا موجودين في فترة العصور الوسطى واعتبر ريتشاردز ان ابن الاثير في عرضه للاحداث كان قدرها اي ان الحدث التاريخي هو مقدر من الله، ولكن ابن الاثير في بعض الاحيان (Richards, (trans) 2008),part.1,p.4) يناقض ذلك بحيث اعتبره ريتشاردز تناقضاً في فكر ابن الاثير

وبين ريتشاردز في مقدمة الجزء الاول من ترجمة الكامل الطبعة السابقة الخاصة بكتاب الكامل ومنها ترجمت مقتطفات مرفقة بترجمة قدمت باللغة الفرنسية نشرت بمثابة سلسلة المصادر الضخمة التي

تتعلق بالحروب الصليبية والتي جاءت تحت عنوان *Historiens des Receuil des croisades* (Richards, (trans) 2008),part.1,p.6).

وقد ظهرت النشرة الاولى لكتاب الكامل على يد المستشرق السويدي كارل جوهن تورنبرغ (1877-1807) C.J Tornberg، الذي نشره في اربعة عشر مجلد سنة بين السنوات 1862-

1870م في ليدن واوبسالا واصبحت النسخة المعتمدة من قبل الباحثين (Richards, (trans).
2008,part.1,p.6)

وهناك طبعتان صدرتا في القاهرة بين السنوات (186-1884) مكونة من اثني عشر مجلدا، صدرت
نشرة جديدة في بيروت سنة 1965 معتمدة على طبعة تورنبرغ في ثلاثة عشر مجلد، وكررت الاخطاء
نفسها في طبعة تورنبرغ.(Richards, (trans) 2008),part.1,p.6)، وفي السنوات الاخيرة ظهرت طبعتان
إضافيتان في بيروت احدهما تحقيق عبد السلام تدمري سنة 1997، عن دار الكتاب العربي، والاخرى
سنة 1998 عن دار الكتب العلمية حررها عبد الله القاضي . (Richards, (trans) 2008),part.1,p.6)
وقد استخدم ريتشاردز في ترجمة اجزاء الكامل الاخيرة طبعة دار صادر كأساس لهذه
الترجمة،(Richards, (trans) 2008),part.1,p.6)، وراجع مخطوطات البودليان التي لم يرجع اليها
تورنبرغ.(Richards, (trans) 2008),part.1,p.6) وقد اعطى ريتشاردز في ترجمة الاجزاء توضيحات عدة
لعدد من المصطلحات والوظائف الادارية التي كانت سائدة في العصور الاسلامية مثل الوزير والقاضي
والماليك والاماكن الجغرافية.(Richards, (trans) 2008),part.1,p.6).

الخاتمة:

يعد المستشرق البريطاني ريتشاردز من المستشرقين الذي قدم صورة مغايرة عن المؤرخ ابن الاثير
تختلف في مضامينها عن ما قدمه المستشرق هاملتون جب، اذ ان الاخير دعى في احدى اجائه عن ابن
الاثير عدم الاعتماد عليه عند دراسة حياة صلاح الدين بن ايوب، والرجوع الى مؤلفات العماد
الاصفهاني ثم المؤرخ الموصللي ابن شداد في كتابه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، فضلا عن ذلك

نجد ان ريتشاردز قد قدم صورة ايجابية عن ابن الاثير من خلال دراسة الاجزاء الاخيرة من كتابه (الكامل في التاريخ) واعتمد في هذه الدراسة على مخطوطات عدة للكامل المنتشرة في المكتبات العالمية، هذا بالاضافة الى انه قد قام بترجمة الاجزاء الاخيرة لكتاب الكامل حتى تتوفر فرصة لطلاب الدراسات العليا لمن يريد دراسة موضوع الحروب الصليبية من خلال المصادر الاسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: المصادر الاولية:

1. ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد(1977) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، دار صادر .
2. ابن الديبشي ، محمد بن سعيد بن محمد : المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله ، تحقيق: مصطفى جواد ، (1977) ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .
3. البيهقي ، قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد : ذيل مرآة الزمان(1954) ، الهند ، حيدر اباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .

ثانياً: المراجع الثانوية

- حوراني ، ألبرت ، هاملتون (1983) هاملتون جب ، ترجمة : سلام فوزي.بيروت: مجلة الفكر العربي. العدد31، السنة الخامسة.
1. الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق(2017): الاستشراق البريطاني في القرن العشرين، ط1، مصر، رؤية للنشر والتوزيع، 2017.

1. B. Lewis and A. Holt (eds.) (1962), "Arabic Historiography of the Crusades", *Historians of the Middle East* (London, SOAS).
2. Chase F. Robinson (Ed) (2003), *Texts Documents and Artefacts Islamic Studies in Honour of D.S. Richards*, Brill, Leiden.
3. F. Gabrieli. (1933-1935) "Notes on the Arabic Materials for the History of the Early Crusades", *BSOS*, Vol. VII.
4. Donald S. Richards (trans) (2001), *The rare and excellent history of Saladin, or, al-Nawādir al-Sultaniyya wa'l-Mahasin al-Yusufiyya*, by Bahā' al-Dīn Yūsuf ibn Rāfi' Ibn Shaddād, *Crusade Texts in Translation*, No. 7, Aldershot.
5. Donald S. Richards (trans) (2002), *The Annals of the Saljuq Turks: Selections from Al-Kamil fi' Fa'rikh of Ibn al-Athir*, London.
6. D.S. Richards (trans) (2006) *Ibn al-Athir The Chronicle of Ibn al-Athir for the Crusading Period from al-Kamil fi'l-Ta'rikh, Part I: The Years 491-541/1097-1146: The Coming of the Franks and the Muslim Response. Crusade Texts in Translation. Aldershot, Hampshire: Ashgate, U.K, U.K.*
7. D.S. Richards (trans) (2007) *The Chronicle of Ibn al-Athir for the Crusading Period from al-Kâmil fi'l-ta'rikh, Part 2, The Years 541-589/1146-1193: The Age of Nur al-Din and Saladin, Crusade Texts in Translation, Aldershot, Hampshire: Ashgate, U.K.*
8. Richards, D. S. (trans) (2008), *The Chronicle of Ibn al-Athir for the Crusading Period from al-Kâmil fi'l-ta'rikh. Part 3: The Years 589-629/1193-1231: The Ayyubids after Saladin and the Mongol Menace. Crusade Texts in Translation 17. Aldershot, Hampshire: Ashgate, U.K, ,part.3.*
9. D.S. Richards, (1982) "Ibn Al-Athir and the Later Part of the Kamil: A Study of Aims and Methods", *Medieval Historical*

Writing and Islamic Worlds, Morgan, D.O. (ed.), (London, University of London .

- 10.D.S. Richards, (1980) A Consideration of Two Sources For The Life of Saladin”, JSS, Vol. XXV, No.;; “Imad Al-Din Al-Isfahain Administrator, Litterateur and Historian”, Mayas Hatzmiller (ed.): Crusaders and Muslims in Twelfth-Century Syria, Leiden, Brill.
- 11.D.S. Richards(trans)(2006) The Chronicle of Ibn al-Athir for the Crusading Period from al-Kamil fi'l-Ta'rikh, Part I: The Years 491-541/1097-1146: The Coming of the Franks and the Muslim Response. Crusade Texts in Translation. (Aldershot, Hampshire: Ashgate,U.K, U.K.). P.1
- 12.D.S. Richards (trans.)(2007)The Chronicle of Ibn al-Athîr for the Crusading Period from al-Kâmil fî'l-ta'rîkh,Part.2, The Years 541-589/1146-1193: The Age of Nur al-Din and Saladin, Crusade Texts in Translation ,Aldershot, Hampshire: Ashgate,U.K.
- 13.Richards, D. S., (trans)(2008), *The Chronicle of Ibn al-Athîr* for the Crusading Period from al-Kâmil fî'l-ta'rîkh. Part 3: The Years 589-629/1193-1231: The Ayyubids after Saladin and the Mongol Menace. Crusade Texts in Translation 17. Aldershot, Hampshire: Ashgate,U.K.,part.3.